



أزادي هي الكلمة المطابقة لمصطلح الحرية في اللغة الكردية، اختارته تنسيقيات قيادة الثورة السورية الميدانية في كل مدن القطر ليردده العرب مع الأكراد في جمعة "أزادي الحرية" في العشرين من مايو/أيار، وهي رمزية تُجسد على الأرض قضية مركزية مهمة أكدناها مراراً وهي حيوية الوحدة الوطنية السورية بين الشعب؛ أكراداً وعرباً، مسلمين ومسحيين. وفي ذات الوقت عكست هذه الصورة التلاحمية حين نُقلت بكثافة من مظاهرات مدن القطر فتكتب على لوحاتهم وتردّد في مظاهراتهم الحاسدة، إذن النظام يواجه حركة التحام وطني عنيدة وصلبة تُعزّز فشله المتنامي في محاصرة الثورة وهزيمته التدريجية المتلاحقة.

الطاحونة تقدم والنظام عاجز:

ولنعود هنا لإعادة رصد المشهد السوري بدقة ومتابعة تطوراته وخاصة في رسائل جمعة "أزادي الحرية" وما سبقها من مذبحة تلكلخ على الحدود اللبنانية وانعكاساته في خريطة الزحف القوي للثورة السورية على الأرض الجغرافية والأرض النفسية للشعب السوري التي باتت تُعطي دلائل قاطعة على أن حركة التغيير السوري وإيمانها باستحقاقها لعهد الحرية لا مجال لتقسيطه فضلاً عن المساومة عليه.

ولقد شكّلت تلك اللوحة المقسمة على شاشة الجزيرة والمنقولة أيضاً في قنوات أخرى عالمية وعربية، إعلاناً نوعياً إضافياً سجلته جمعة أزادي لحركة التوسيع في مضمار الثورة السورية وانضمام بلدات صغيرة وكبيرة وأحياء رئيسية و مهمة في دمشق وحلب، فضلاً عن صمود مدن الحصار وقوة إصرارها على المشاركة في تقديم قرابين الشهداء لمشروع الحرية الكبير.

فذلك المشهد الذي يحاول أن يلاحق المظاهرات عبر تقسيم الشاشة إلى عشرين مشهداً من كل بلدة ومدينة سورية ومع ذلك لا يحصيها، ثم لا يستطيع أن يُغطي تلك الآلاف من الرسائل المصورة والمؤتقة بالفيديو على كامل مدن القطر توثق المسيرة وتكشف عملياً القمع والتخريب من الأمن و"الشبيحة" في الشوارع الخلفية وتنقل حركة الاستشهاد وتهليل الناس وتتدفق

الدماء، في دلالة واضحة قوية تؤكد قوة الدفع الفدائي في الشارع السوري.

إذن، هذا المسار المشهود المؤتّق أمام العالم في وقت يضطرب ممثّلو النّظام في وسائل الإعلام حتّى يُكرر أحدهم مشامته للجزيرة، أو اشتباكهم مع مقدمي القنوات الأخرى، وحين يستشعر ممثّل النّظام الأمني المُكلّف بالمتابعة الإعلامية عجزه عن مواجهة الحقيقة المروعة للوّاجدان من وحشية القمع، فهي في ذات الوقت تُترجم هزيمته بقوّة في مواجهته لنّقل حركة التغيير السوري الديموقراطي إلى مرحلة الثورة الشاملة وقرارها الصلب في وحدتها الوطنية وشعاراتها الشعبيّة، وهو ما يعني ما أكدها من فشل النّظام منذ الدورات السابقة وخاصة دوره أزادي في حركة الثورة السورية والدليل المعاكس المهم جداً للمرأقب السياسي وهو قوّة قيادة الثورة وتنسيقاتها وثباتها في الميدان.

تكلّخ اللوحة المهمة:

قبل اشتعال جمعة أزادي الحرية تعرّض النّظام لانتكاسٍ نوعيٍّ عنيف اضطّرّه لاستخدام أقصى أدوات حلفائه في لبنان، ومع ذلك ارتدت الصورة عليه بقوّة، كان العالم يشهد صورة الشابين الممدّدين المدنيين بعد قتلهما في تلّكلخ وحلب الأطفال المنسّك مع دماء الشهيد الذي كان يحمله، وكان هذا المشهد مقدمة لاجتياح الجيش والأمن بلدة تلّكلخ التي اضطّرّ أهاليها لأن ينزحون إلى بلدة وادي خالد الملاصقة لتلّكلخ في الداخل اللبناني.

كان العالم هذه المرة مع مشهد متتابع من زحف الأهالي وجرحاه وشهادات مباشرة تحت القصف لما تعرضت له تلّكلخ، وكان واضحاً أن إطلاق الرصاص على الحدود اللبنانيّة باتجاه الأهالي ومسعفيهم اللبنانيّين يعكس مدى فزع النّظام من مشهد الفرار الجماعي للعجزة والنساء الذين وجّه سلاحهم وقصفه إليهم.

ولذلك رصد المراقبون حركة الضغط التي مارسها حلفاء النّظام من القوى الإيرانية داخل لبنان على هيئات الإغاثة لمنعهم من إسعاف وإغاثة النازحين، وكان تهديد هذه القوى لمؤتمر المجتمع المدني اللبناني الداعي للتضامن الإنساني مع الشعب السوري ومع هذه الحالات المأساوية، ثم تهديد الفندق المُضيّف مما أدى لإلغاء المؤتمر، صفحة مهمة للغاية من حركة الاختناق التي بات يعايشها النظام في دمشق، ويتصرّف معها باضطراب وهستيرية عدائية أضّرّت بحلفائه من حزب الله وحركة أمل وحلفائهم، وسجّلت تقدماً مركزاً يَشهد لمصداقية الثورة وما طرحته ابتداءً عن وحشية النّظام ونزعه لمسار واحد هو حوار السلاح والقنص والقصف العشوائي ضد الشعب.

الحقيقة الفدائيّة تنافس الأساطير:

وأمام هذه المشاهد ستتّلّخص لنا صورة هي حقيقة إستراتيجية بنظر التحليل السياسي أو التاريخ الإنساني لصناعة الحرية عبر الفداء المنقطع النّظير، لُبّرزاً أمامنا مجدداً سُرّ نجاح الثورة السورية أمام كل هذه المسارات وحلقات الخنق والتقطّع الدولي الإقليمي الذي اضطّر للاعتراف بحركتها وملامحة النّظام بعد فترة من الحديث اللين الذي أعطى النّظام مساحة أكثر منه رسائل ضغط.

وهنا نحن نتحدث عن صور من حشود تنتظر الجمعة تلو الجمعة تكاد توقن بل هي توقن بأن قربان الشهداء المُسجّل في قوائم الشهداء لحرية الشعب مساء انصرام كل جمعة قد يكون اسمه في طليعتهم؛ أكان هذا الفدائي الشاب أو الصبيّ أو الشيبة أو العجوز أو الطفل.. المنتظر بتلهف وفي يده راية سورية وقرار الاستشهاد لا غير.. فقط لقد قرر الفداء.

ثم تَعجّب من ذلك الشاب الذي تقدّم حتّى يصوّر القناص وهو يتحمّي بالحشود الأمنية وتأخذك الرهبة الوجданية حتّى في قراءتك السياسية بأن الشاب الذي أصيّب في التصوّير أهم ما يهمه دفع الصورة إلى صاحبه لتنجح عمليّته وينطق الشهادتين لرحلة الخلود الكبّرى، وترأهـمـ ينوعـونـ لـوـحـاتـهـمـ وـيـعـرـضـونـ بـطـاقـاتـهـمـ حتـىـ يـتـعـزـزـ التـوثـيقـ وـتـتحـدـىـ عـزـائـمـ الثـوارـ بـصـدـورـهـمـ العـارـيـةـ صـلـفـ الإـرـهـابـ،ـ كـالـذـيـ صـوـرـ الشـيـبـةـ الـذـيـ قـنـصـ فـيـ وـسـطـ الـطـرـيـقـ وـانـدـفـعـتـ عـجـوزـهـ تـحاـولـ جـذـبـهـ منـطـرـةـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ حتـىـ دـنـاـ مـنـهـ وـلـدـهـ فـكـرـ القـنـاصـ قـذـائـفـهـ نـحـوـهـ،ـ غـيـرـ أـنـ قـذـائـفـ الـمـشـهـدـ لـقـوـةـ الـعـهـدـ الثـورـيـ السـوـرـيـ كـانـتـ أـقـوىـ

فهزَّتِ القناص ورفعت صورة المشهد.. لمعركة انتصار الدم وأزادي الحرية.

ما الذي يعنينا في قلب التحليل السياسي في هذه الصورة التلاحمية الإلهامية؟

نقول: إن هذه المشاهد من الفدائية والتضحية والعزيمة الشعبية في التاريخ الإنساني كانت تُروي أسطoir تتحدث بها الشعوب والتراث على أنها قيم بطلة سيدت الأمم ونصرتهم معنوياً وسياسياً، في حين نرقبها في الشام حقائق مجسدة، وهذا الأمر يعني بوضوح لقراءة المشهد إستراتيجياً أن المرحلة الفدائية التي وصل لها الشعب السوري هي فقط من يقود المشهد، وأن النظام أو أي قوى دولية أو إقليمية لن تستطيع أن تحاصره ولا حتى محاولات النظام الهزلية بإعادة طرح حوار الطرشان في حين حوار القناص يتسيد الساحة.

المشهد العالمي ينحني:

ولذلك فإن الاضطراب الذي جرى للقوى الإقليمية وارتكاب أردوغان وشعور المحيطين به بالخجل من تردد خطابه في حسم الدعم للشعب السوري بعد أن أيقن أن الشعب تجاوزه بقدراته الذاتية كانت الرسالة الأولى.

وكانت الثانية اضطرار أوباما لكي يُعلن موقفاً جدياً يجعل له مبرراً مستقبلياً أمام حركة الاندفاع الشعبي لحرية الشعب السوري، وإعلان انتصارها الذي بات يتزداد توقعه في ذهول داخل الأوساط الأميركيّة، ولللة ذلك تصريح أوباما الأخير في استقباله لنتنياهو بأن واشنطن ستلتزم بتأمين أمن إسرائيل إذا تغير المشهد السوري، كإشارة واضحة لتجاوب واشنطن مع مخاوف الساسة والإعلام الإسرائيلي من وصول حكومة حرة ومنتخبة في دمشق، والتتصيص على سوريا يبرهن على هذا القلق، وأيضاً يؤكد حجم ضمانة نظام الأسد للأمن الإسرائيلي تاريخياً.

في كل الأحوال بدء أوباما بعطاء إشارات بإعلان العقوبات الرمزية، وهذا يُشير إلى أنّ البيت الأبيض بدأ يستشعر حجم حراك الثورة على الأرض وقوّة إرادتها وعزيمتها، وهو ما يعني بجلاء ووضوح أن هذه الثورة هي من يفرض على الأرض التغييرات تجاه مستقبل الوطن السوري؛ أكان تغيراً مضطراً، أم مراوغاً أو متاماً.

وهذا يعني أن هناك مشروعًا كبيراً يتجسد، يعلن أن نهر الدماء العظيم في سوريا لن يذهب سدى.. إنه يُقرر حرية الشعب بدمائه ليخضع العالم المتواحش مضطراً لأسطورة الفداء والشهداء.

المصدر: موقع الجزيرة نت

المصادر: